علاقة الصحة بالأحوال الاجتماعية

"ليس هناك شك فى أن السبب الأكبر للفروق فى القامة والمستوى الصحى والوفيات بين الطبقات المختلفة فى الشعب انما يرجع الى الغذاء، وإن كانت هناك أسباب صحية أخرى. ذلك لأنه كلما عمت الفاقة بين جماعة ما صار أفرادها أكثر اعتمادا على الأطعمة الرخيصة وأكثر استهلاكا للخبز وسائر الحبوب والسكر والمربى وشحم الخنزير والمرجرين (الزبد الصناعى) والشاى مع قلة الاستهلاك للأطعمة الواقية من مشتقات اللبن والخضر والبيض والفاكهة.

"والتفاعل بين الفقر وسوء الصحة والغذاء الناقص والأحوال الصحية فى السكنى يتجمع وينتهى الى نتيجته الأخيرة. فان الفقير لا يشترى غير الطعام السيء فيمرض فيقل كسبه بسبب المرض. فيشترى لقلة الكسب طعاما أسوأ. فيمرض لذلك أكثر".

هذا هو ما يقوله الدكتور المرميلانى من كبار الأطباء فى انجلترا فى محاضرة عن العلاقة بين الطب والاقتصاد والاجتماع. أى أثر الحالة الاقتصادية والاجتماعية فى الصحة والمرض. وقد بدأ محاضرته بابراز التقدم العظيم الذى تحقق فى مكافحة الأمراض الوبائية فذكر أنه منذ أن افتتح أرليخ المعالجة الزرنيخية العضوية كثرت العقاقير الكيماوية العضوية. وكان أحدثها مركبات السلفانيلاميد التى نجحت فى معالجة حمى النفاس والالتهاب السحائى والحمرة والنزلة الشعبية. وقد نزلت الوفيات المتسببة عن هذا المرض الأخير فى المرضى الذين هم دون الخمسين من العمر من ١٧ ٪ الى ١,٦ ٪ بعد معالجتهم بهذه المركبات. وقد كانت الوفيات من حمى التيفوئيد فى بريطانيا عام ١٩٠٠ تزيد على ٥٠٠٠ فنزلت فى عام ١٩٣٧ الى ٢٠٦ وكان التدرن فيما بين ١٨٧١ و ١٨٨٠ يقتل كل عام فى المتوسط ٢٨٨٠ من كل ١٠٠ ألف من السكان فنزل هذا الرقم سنة ١٩٣٧ الى ٦٩٠ ونزلت الوفيات من الحمى القرمزية من ٧٢٠ فى كل ١٠٠ ألف من السكان بين ١٨٧١ و ١٨٨٠ الى ٩ فقط وكذلك الحال فى الحصبة التى نزلت الوفيات فيها فى المدة المذكورة من ٣٨٠ الى ٢٦، أما وفيات الأطفال عامة فى الأربعين من السنين الماضية الأخيرة فقد نزلت من ١٥٦ فى الألف الى ٥٣ فقط. وزاد المرميلانى أن هذه الأرقام ليست الحد النهائى لأن هذه الوفيات نزلت فى زيلندا الجديدة الى ٣١ فى الألف. ومما يدل على قلة الوفيات فى الأطفال والشباب أن الذين توفوا قبل سن الخمسين كانوا ٤٢,٥ ٪ من مجموع الوفيات سنة ١٩٢٢ وكان ٥٧,٥ ٪

من الوفيات فوق سن الخمسين. فلما كانت سنة ١٩٣٧ تغيرت هذه الأرقام الى ٢٧٪ دون سن الخمسين و٧٣٪ فوق الخمسين .

وليس التقدم مع ذلك مقصورا على قلة الوفيات فان التحسن قد عم الأجسام مثال ذلك أن فى المدة التى تقع بين ١٩١١ و ١٩٣١ زاد متوسط القامة بين من بلغوا الثانية عشرة من تلاميذ المدارس الابتدائية من ٤ أقدام و ٤ بوصات الى ٤ أقدام و ٧ بوصات . كما زاد متوسط الوزن من ٦٣,٥ الى ٧٤,٤ رطلا .

على أن هناك أمراضا زادت مثل السرطان والذبحة الصدرية وسائر أمراض القلب والدورة الدموية . وهذه الأمراض يعزى بعضها إن لم نقل كلها الى كثرة المسنين الذين زادوا على الخمسين لأنها كلها من أمراض الشيخوخة .